

قصة معركة الحنوشي الدموية

BLOOD FEUD OF HANOUSHI



تطلب من المطبعة بشارع المناخ عمرة ٣٧ بمصر

معركة الحنوشي الدموية

كان في بلدة على حافة تل صبي يدعى مصطفى يتجأ وحيداً لأن
أباه وآخرين قتلوا في معركة دموية حصلت بينهم وبين إحدى القبائل
المجاورة لهم وتأكد مصطفى بأنه حين يبلغ وتثبت لحينه يطار دونه
ويقتلونه الحياة ولكنه لم يخف بل قال سأشغل فكري واحترس
لنفسي

وفي ذات يوم اذ كان راجعاً من شغله في الغيط سلم عليه
شخص غريب كبير السن مهتم الملابس وسأله عن حاله وكله كلمات
لطف فرد عليه بالبساطة وكان مسروراً لأن الغرباء قلما يعملون هكذا
وبعد أيام قليلة قابله هذا الغريب ذاته ثانية خارج البلدة وسلم عليه
سلام الصحبة وقال له «اني جئت من بلاد بعيدة ولكني كنت اعرف
عائلة ابيك من سنين وقت لاهل بيتك بخدم كثيرة والآن سمعت
عنك انك صرت رجلاً وانك ايضاً رجل لطيف وعاقل فاردت
البحث عنك لعل افيديك ايضاً في هذه الدنيا لانك تقضي سنينك في
هذه البلدة التي ليس فيها غير الغيطات ولا ربح الا التين والبلح»
فاغرى هذا الكلام مصطفى وداهنه كثيراً ولما طلب منه الرجل ان

يذهب معه الى مطعم للاكل تبعه مطيماً . ولم يكن الجو تحول الى
 لونه الذهبي ولا كثير من الناس حولهم وانما كان في احد اركان المطعم
 رجل عجوز راقبهما بقلق وهما يتكلمان على الطعام فلما دفع الغريب
 ثمن الاكل شكر له مصطفي صنيعة وودعه وداعاً حسناً ثم انصرف
 وبقي مصطفي متباطئاً عند الباب يتطلع عليه مسروراً بهذه الظروف
 الطيبة الآتية اليه حتى ظهر له (عزيق) التبيط متمباً وثقيلاً فكنت
 بشخص في الطريق حتى غاب الغريب عن النظر فلما اختفى
 وصار على مسافة بعيدة قام الشيخ المجوز المسمى سالم بحرص من
 الركن وقال « تعال معي يا بني فان عندي حكاية اقصها عليك » ولما
 لم يعمل الغلام للشغل مشى معه مسروراً وجلس مع الشيخ سالم تحت
 شجر زيتون خارج البلدة . فقال الشيخ بصوت واطىء اخترس يا بني
 من الشخص الذي كنت تتكلم معه فانه من قبيلة الخنوشي التي نذرت
 ان تفتقم منك ومن بيت ابيك فلا يفرك تظاهره لك بمظهر المصاحبة
 لانه اذا نظرك مرة لا يتركك الا ويدبر أمر مونك . ويمكن انه لا
 لا يتجاسر ان يهجم عليك جهاراً ولكنه يطلب ان يفورك حتى
 يأخذك على ناحية وبذبحك في السر »

فاحس مصطفي بقلبه ففتت بهذه الافوال لانه سبق وسرى فيه

سم تهاق الرجل الغريب فعميت عيناه عن الخوف ولم يبتدى يصحو
من احلامه بالسرور والريح التي استولت عليه وينظر الخطر الممرض
له الا بمد ان تكلم الشيخ سالم معه كثيراً بحمد واهتمام واخيراً قال
«حسناً» سأحترس لنفسي اذا عاد ثانية

فقال الشيخ سالم ان احتراسك واعتناك بنفسك لا يكفي يا بني
في ان يحفظ حيتك لان الحنوشي ملآن مكرآ وقوة ويقدر أن يدوي
لك كالسحر حتى تتبعه كخروف يساق الى الذبح ولا توجد الا طريق
للأمن وسأخبرك عنها. اتنظر تلك الجبال البعيدة جهة الشرق فهناك
فوقها بعيداً عن النظر توجد مدينة الملجأ ورئيسها كان دائماً صديق
بيت ابيك وتوسط له في تلك المعركة وبهذا العمل جلب على نفسه
غضب وسخط عائلة الحنوشي سخطاً شديداً بهذا المقدار حتى انهم
قاموا عليه بقصد ان يقتلوه والآن صدر امر من الحكومة بان جميع
الحنوشيين ينفون من الملجأ فلا يجسرون على ان يدوسوه باقدامهم
فاذا استطعت الهروب الى هناك يا بني لا يستطيع العدو ان يمس
شعرة من رأسك فاقبل نصيحتي واسرع الى هناك قبل ان يأتي ثانية
واذهب مع السلامة»

ثم مرت ايام على مصطفى وعقبه متعبين جداً لان آخرين غير

الشيخ حذروه ايضاً وقالوا انهم رأوا الحنوشي ساهراً باحثاً على طريقة
يصطاده بها ومع ذلك فلم يدلّه قلبه على لزوم طلب مدينة الملحجأ بين
الغرباء في مكان غريب لانه كان ماثلاً للبقاء في بلده

وهكذا مضت بعض اسابيع ولم يسمع فيها شيئاً آخر ولكنه
بينما مر ذات يوم على قهوة البلدة لاحظ الحنوشي جالساً على بابها
فسلمها على بعضهما والتفتا حولهما ليمتا كذا ان لا احداً يراقبهما فقال
الحنوشي لمصطفي عندي شيء اقوله لك فدخل قلبه حب الاستطلاع
والخوف معاً ولكن حب الاستطلاع تغلب عليه فطلعا في الطريق
معاً. ثم قال الحنوشي انا اعلم بان جهلاء كثيرين في بلدتك حذروك
مني ولكن سأبرهن لك مرة اتني عن كل المرات بان قصدي انما
هو للخير فانت شاب قوي وتقدر أن تساعدني ومساعدتك تمود
بالفائدة وتكافأ عليها فهناك فوق حافة تلك الغابة وجدت مطمورة^(١)
من الزمن القديم وفيها كنز فان ساعدتني في حفرها فالذي نجده
لك نصفه. فكان هذا الطعم مجرباً للغاية لكلا غرض الريح والمخاطرة
لانهما دبرا ان يبكرا القيام عند طلوع القمر اي الساعة الثانية من
الليل حتى يمكنهما أن يشتغلا كثيراً بقدر ما يمكن قبل ان يستيقظ

(١) جب او حفرة لحزن الغلة

الناس فذهب الغلام الى الحمام لينام حتى ينهض للقيام دون ان يشعر به احد

ثم تقابلا على حافة الغاية وعثرا عند شروق القمر على حجر المطمورة فنزل فيها مصطفي ووراءه الحنوشي وابتدأ الغلام يشمر بقلق وانزعاج لانه لم تكن هناك ادلة على وجود آلات ولا علامات فحت سابق وأحس ايضا كيف انه يسهل على عدوه ان يقتله ويدفنه هناك واذا تطلع رأى نظارة الشربادية من عيني الحنوشي فخفق قلبه بالرعب وحينئذ سمع صوٲ عجوز آتيا يعني من على بمد في الطريق فعرف مصطفي انه صوت الشيخ سالم فنط بسرعة الى سطح الارض وجرى الى صاحبه قبل ان يتمكن الحنوشي من توقيفه فقال الشيخ سالم « بنفس واطىء الحمد لله . تمال معي بغاية السرعة » ورجما كلاهما مما يسكون الى ناحية البلدة

فقال مصطفي امكنك يا صديقي ان تتبعني في الليل فرد عليه الشيخ سالم وقال اني كنت نائما انا ايضا في الحمام وانت كنت تنقلب وتتكلم في نومك فاستمعت ان الحنوشي وراءك لاني علمت انه نظرك البارحة وبينما كنت انتظر قت انت وخرجت فتبعتك برحمة الله .. والا فكنت الآن من الاموات وعليه يا بني صدق كلامي فانه يوجد

شر مدبر لك حتى الموت والخنوشي متمطش لسفك دمك ولا يخمد عطشه الا اذا سفك فالآن وهو لم يزل مخنبتاً اهرب الى الملجأ ولا تقف حتى تووع بينك . سر في الطريق نحو الشرق .. ونجمة الصبح ترهبها لك ... ولا تطلب ملازمة الطرق السلطانية لاجل السهولة بل اذهب مقابل وجهك مباشرة بدون ان تحيد ولا تسلم على احد وتمسك بطريقك بفرض وصولك الى هناك قبل ان يجدك ومتى صرت داخل باب المدينة فلا يقدر ان يمسك بعد « فودع مصطفي الشيخ سالم بقلب فائض بالشكر لانه علم ان كلاته حق وبقي الشيخ سالم براقبه حتى توغل في الغابة واخفى

ولا يسمي الوقت في ان اشرح بالتتابع ما جرى في ايام سفره الثلاثة وحقاً لم يحصل شيء خصوصي يميّقه لانه تبع مشورة الشيخ وازم الطريق مستقيماً وبمبدأ ما امكن عن مساكن وطرق الانسان وفي مساء اليوم الثاني رأى من على بعد اسوار مدينة الملجأ تلح بلون مغيب الشمس الذهبي وعرف انه يمكنه ان يصلها في الليل ولكنه علم ايضاً ان هذه الليلة الاخيرة قد تكون اعظم اوقات الخطر لانه اذا كان الخنوشي علم قصده يكون الآن مراقبه عند البوابة وحقاً حصل هكذا فانه عند ما لاح الفجر كان مصطفي مقترباً

من المدينة وعرف ان ابوابها تفتح عند شروق الشمس فخللا اشرفت الشمس بالبهاء خلف الابواب رأى من على بعد ان الابواب فتحت بسعة كأنها ترحب بقدومه . ولكن في تلك الدقيقة عينها مر بقرب آخر كرم من الاشجار على حافة التل خرج شبح عدوه فجرى الفلام كالريح والخنوشي خلفه والرقباء حول الباب مجتمعين متشوقين بتلف بان الصبي يغلب والرئيس واقف بينهم

واخيراً اذ اقترب مصطفى من الباب لم تبق الا امتار قليلة بينه وبين عدوه واستل الخنوشي سكينته الطويلة وطوحها على رأسه ولكنها اذ صفرت في الهواء قصّر مصطفى قامته فطارت من فوقه بدون ان تضره ومرة اخرى انحنى الى الارض وكاد يغمى عليه فالتقى نفسه على عتبة الباب فانحنى الامير ورفع يده وجذبه الى داخل فرجع الخنوشي على عقبيه وهو ينظر نظرة النضب والحقد والخيبة وهرب الى اسفل التل وكلم لرئيس الرقباء فقال « اني اعرف هذا الصبي وعدوه فافرحوا معه على سلامته » فحصلت لمصطفى راحة الجسم والروح لانه عرف انه وصل الى الميناء الامين وما بقي عليه الا ان يمكث هناك لانه لا يمكن ان يدخل الخنوشي داخل تلك الاسوار او يواجه الامير الذي يحكم هناك

المعنى

اعلم يا اخي انه يوجد واحد كانت له معركة دموية مع الجنس
البشري من ايام آدم الى الآن وليس فقط مع الجنس البشري اجمالاً
بل مع كل فرد من الناس ويكرهك كراهة تشبه التعطش الى سفك
دمك وذلك العدو هو الشيطان الرجيم فلذلك احذره واحذر حيله
وخف منه

ولكن الخوف منه لا يكفي ان ينجيك لان له مكر وحيل بسيدة
فوق تصورك ولست تعرف في اي ركن من سبيل حياتك يكمن
لك منتظر آهلاك الابدي

فلذلك جئنا نحذرك بانه يوجد فقط محل واحد نجد فيه ملجأك
وقال عنه النبي «ليس سحق في تخومك بل تسمين اسوارك خلاصاً
وابوابك تسبيحاً» ويقول السيد المسيح «انا هو الباب ان دخل بي
احديخلص» ومعنى هذا انه متى تعلم الانسان ان يخاف الشيطان اللعين
لا ينجو بالنزول الى الممركة معه بل في الهروب الى الرب يسوع المسيح
ويطرح نفسه عليه ليقبله ويحفظه لان الله اعطاه الحق في يده بان
يقبل الخطاة ويحفظهم آمين. وقال عن كل الذين يأتون اليه «اعطيهم
حياة ابدية فلا يهلكون الى الابد ولا يخطفهم احد من يدي»

وليس معنى هذا الباب باب السماء فقط فانه يقصد به الاحتماء الذي يبتدىء هنا منذ الآن فولّ وجهك نحو المسيح يا اخي واهرب اليه كما لحياتك ولا بأس اذا كنت تخسر كل ما عندك في طلب الاحتماء به لانه « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه »

ولا تستغرب اذا كان كما في حكاية مصطفى بكنن لك عدوك مترقباً لك بشوق يزداد كلما اقتربت من باب الخلاص ويبدل كل جهده ضدك حينما تجاهد بنفسك للوصول الى المسيح . لانه اذا لم يقدر ان يغويك الى صراط الخطية يجمع لك قوته ليمنع دخولك من الباب الذي فتحه لك الله بالمسيح . حتى لا تغفلت من يده

ولذلك يقول المسيح في انجيله الشريف « اجتهدوا ان تدخلوا من الباب الضيق » لانه يوجد اي مانع او معطل من الداخل بل لان الشيطان يبذل جهده من خارج ليسد طريقك

وعليه فلا امن لك اذا كنت مكثفياً بالاقتراب من المسيح فذاك لا يجعلك مسيحياً بل بالاولى خطر مريع على نفسك . وانما اطرح ذاتك الى قدام عند قديمي المسيح الواقف مستعداً ان يرحب بك فانه حينما يمسك فقط وبجملتك الى الاحتماء الذي جهزه لك بموته

فحينذاك تكون خارج قبضة الشيطان وحين تثبت فيه وتمكث معه
لأنه هو الرئيس والمخلص وتمكث في امن فليت الله يأتي بك الى هذا
الحمى يا اخي ومحفظك الى الابد آمين
